تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية

عصام سخنيني

في الثامن والعشرين من شهر أيـــار (مايو) ١٩٦٤ عقد المجلس الوطني الفلسطيني الاول الذي أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف.) بحيث « تكون هذه المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من اجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي » . وبحيث يكون « الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيين في م.ت.ف... والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » كما نصت المادة ٢٦ من الميثاق القومي الفلسطيني والمادة ٤ من النظام الاساسي لـــ م. ت. ف. على التوالي . ومنذ ذلك التاريخ دخلت قضية تمثيل الشعب الفلسطيني مرحلة نزاع جدي ، بعد ان كان هذا الموضوع في حال نسيان تامة على مستوى عربي او تجاهل متعمد ، واذا اثير مرة فهو لا يخرج عن نطاق المعالجة الروتينية في مجالس الجامعة العربية ، كما كان خافت الصوت او غير مبلور في تصورات محددة على صعيد شعبي فلسطيني . وهذا النزاع كان قطبه الاول المنظمة التي تؤكد انها الممثل الوحيد والشرعي لشعب فلسطين والناطقة باسمه والمجسدة لكيانه الوطني ، وقطبه الآخـــر اطراف متعددة ، مختلفة الدوافع ، متناقضتها احيانا ، ترفض دعوى المنظمة وتسعى الى انتزاع حق تمثيل الشعب الفلسطيني من يدها وتجييره الى جهات أخرى . وإذا كان هذا النزاع ظل هذه لا يمثل خطرا جديا على قضية الشعب الفلسطيني فانه بعد مجازر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، اثر التراجع العسكري الذي منيت به المقاومة في الاردن ، اصبح محوره هذه القضية من الاساس : المحافظة عليها او تصفيتها نهائيا . وقد وصل هذا النزاع الى قمته المرحلية في حادثين هما في التحليل النهائي متكاملان : الاول قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلي باجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية المحتلة بقصد خلق ممثلين منتخبين للشعب الفلسطيني يكتسب الحوار معهم صفة شرعية . والحدث الثاني اعلان الملك حسين عن مشروعـــه الرامي الى ما سماه المملكة العربية المتحدة باقليميهـــا الاردني والفلسطيني بهدف تكريس تمثيل النظـــام الهاشمي للفلسطينيـــين وايجاد المفـــاوض الفلسطيني (من بين الفلسطينيين المتعاونين مع الملك) الذي يكون قادرا بحكم تمثيله الرسمي للفلسطينيين على الدخول في ميدان المساومات الدولية ومن ثم تقديم التنازلات المطلوبة على طريق تصفية القضية الفلسطينية . من هنا يكتسب موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني خطورة خاصة يجري في ظلها اعادة التأكيد على شرعية تمثيل م. ت. ف. للشعب الفلسطيني وعلى حقها في النطق باسمه والتعبير عن طموحاته الوطنية ، وفي الوقت نفسه مقاومة كل ادعاء يحاول ان ينتزع من م. ت. ف. هذا الحق . وفي هذه المقالة ، ولمناسبة العودة الى موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني الذي يتخذ الدعوة الى صيغ مختلفة جديدة لتاكيد هذا التمثيل ، سنستعرض كيف توصلت المنظمة الى هذه